غربيها على مسيرة يوم ويمتد ويتجاوز سمت حماة ثم سمت شيزر ثم سمت افاميه وبلبسي حين ما يكون قبالة هذه البلاد جبل اللكام قال البحتري

وتعمَّدتُ ان تَظَلَّ ركابي بين لُبنانَ طُلَّعاً والسنيرِ
مشرفات على دمشق وقد اعـــرض منها بياض تلك القصورِ

وعلى ثلاث ساعات من جنوبي دمشق سلسلة جبال تتصل بجبال الشيخ وعجلون وحوران تدعى غالباً باسماء قراها القريبة منها كأن يقولوا جبل الكسوة وجبل الحرجلة وغيرهما

وسيأتي الكلام على متنزهات دمشق في الجزء التالي محمد كرد علي

اغنياء اميركا

(١١) اندرو كارنجي

وهو اشهر اغنياء اميركا بلا استثناء لما اتاهُ ويأتيهِ من الاعمال الخيرية وقد قضى على نفسهِ ان ينفع العالم بمالهِ قبل وفاتهِ عوضاً عن ان يتركهُ لابنتهِ وهي وحيدة . ولا عجب بنا الى ذكر تاريخ حياتهِ فقد ذكرهُ المقتطف في عدد سابق ويكاد القارئ لا يفتح جريدة يومية او شهرية الاَّ يرى لهُ ذكراً فيها خصوصاً بعد ما وهب مليوني جنيه لمدارس اسكوتلاندا مسقط رأسهِ . وقد قال مرة ان من يموت غنياً يموت حقيراً وبذلك اوضح المسئولية الادبية العظيمة التي على اصحاب الثروة ويُعلم جمهور القراء ان كارنجي ولد فقيراً وكان يشتغل في بدء امره ساعياً في بيت التلغراف ثم تعلَّم العمل بهِ وما زال يجدُّ ويرتقي من عمل الى آخر حتى صار ملك الصلب (الفولاذ) في اميركا . يُروى عنهُ انهُ قليل الكلام كثير الافتكار حتى قالت عنهُ احدى السيدات لو اوقفتهُ تحت القبة الزرقاء والسماء صافية الاديم وسألتهُ عن لونها لافتكر هنيهة قبل ان يبدي جواباً

ولكارنجي ولع شديد بثلاثة اشياء كان يعلّل النفس بها وهو فقير وعقد النية على اتمامها عند ما يصير غنياً . اولها اقتناء المكاتب العمومية وذلك لانهُ اعتاد وهو فقير ان يستعير كتباً من احد المحسنين وكان قد وقف مكتبتهُ للعمَّال فكان يُمرّ بقراءتها وينتظر يوم السبت بفروغ صبر حتى يستبدل كتاباً قرأهُ بآخر . وبلغ عدد المكاتب التي انشأها نحواً من تسعين مكتبة في مدن متفرقة في سكوتلاندا واميركا وبلغ ما انفقهُ على بعضها نحو مئتي الف جنيه عدا

المكاتب التي اهداها الى مدينة نيويورك وقيمتها فوق المليون جنيه

والشيء الثاني الذي أُولعَ بهِ الموسيقى والثالث محبة الطبيعة وقد طالما حنَّ الى حقول اسكوتلاندا الجميلة وهو يوقد النار في معامل الحديد في اميركا تسع ساعات في اليوم

ويكره ان يُدْعى محسناً ويعتقد ان هذا اللقب لا يُطلق الاَّ على الغنيّ الذي ينفق المال جزافاً اما هو فلا يساعد الاَّ العامل المجتهد وقد قال مرة لا فائدة من مساعدة انسان على الصعود على السلم ان لم يساعد هو نفسهُ فانهُ ان تركتهُ وقع لا محالة وكانت اخراهُ شرًّا من أُولاهُ ومن رأيهِ ان مساعدة الناس ينبغي ان تكون بترقية عقولهم لا بالاحسان اليهم وينصح للشبان ان يغتنموا الفرص ولا يضيعوها وانهُ لا بدَّ للمرء ان تسنح الفرص في حياتهِ ولو مرة واحدة فاذا اضاعها قضى على نفسهِ

اما الاموال التي وهبها لعمل الخير ففاقت ما وهبهُ سواهُ الى الآن ولا يزال يهب نحو مليوني جنيه ونصف مليون سنوياً ويقال انهُ سيعطي خمسة ملايين جنيه لبناء مدرسة صناعية في مدينة بتسبرج وهذا اكبر مبلغ دفعهُ مرة واحدة . واذا جمعنا ما دفعهُ لانشاء المكاتب مما ينيف على المليوني جنيه وما انفقهُ في تأسيس المدارس بلغ نحو احد عشر مليوناً من الجنيهات

وبعد ان مرَّ على زواجهِ عشر سنوات رزقهُ الله ابنة فاخذ الناس يتحدثون بغناها . اما هو فضحك عند ما سألهُ اصحابهُ عن ذلك وقال ان المال انما يجلب السعادة بتمكينهِ ايَّانا من جعل الآخرين سعداء وهذه هي السعادة الحقيقية . وبنى حديثاً قصراً لابنتهِ لكنهُ صرَّح بعزمهِ ان لا يتركها تعيسة تحت وقر الغنى الثقيل

وبين ارباب الثروة كثيرٌ من النساء اللواتي منهنَّ مَن جمعت الثروة بجدها واجتهادها ومنهنَّ من ورثتهُ عن ابيها او كان زوجها حيًّا لكنها استأثرت بالاسم لما اشتهرت بهِ من البذخ والذكاء وحب الشهرة . والنساء في الولايات المتحدة الاميركية يضارعن الرجال في كثير من صفاتهم العقلية والادبية فبينهنَّ الطبيبات والمحاميات والكاتبات وخدمة الدين حتى ان بعض الولايات اعطتهنَّ حقوق الانتخاب وهي حقوق لم ينالنها في غيرها من البلاد

١٢ مسز كنج

ومن ربَّات الثروة مسز هنريتا كنج واسمها ملكة المواشي . تُوفي زوجها سنة ١٨٨٥ بعد ان اسَّس محلاً في ولاية تكساس لتربية المواشي ولم يترك لزوجتهِ ما يستحق ان يسمَّى ثروةً لكنها اشترت اراضي جديدة وزادت عدد المواشي وسهلت مبيعها . وتقدر مساحة اراضيها بنحو

٧٠٠٠٠٠ هكتار او ما ينيف على مليون وخمسمائة الف فدان او نحو ثلاثة عشر مثل مساحة باريس مع ضواحيها والحقيقة انها اكبر من ذلك ولكنها لم تمسح بعد . ومالكة هذه الاراضي مطلقة التصرف فيها وارادتها هي القانون الذي يسير عليهِ مستخدموها وهم يطيعونها كما لو كانت حكومة منظمة . ويصح ان يقال ان حياة مستخدميها تتوقف على مشيئتها لانها لو اخرجت احدهم من خدمتها لقضى جوعاً ولم يجسر احد على استخدامهِ لخوف الناس منها

ومسز كنج الآن في الثانية والخمسين من عمرها ولها في املاكها منزلان فخمان ولكنها تسكن غالباً قصرها المنيف في مدينة كوريس كريستي. وتظهر ثروتها وقت سياحتها في املاكها لكي تتعهدها وذلك مرتين في السنة . احداهما في الربيع لترى حال المواشي والثانية في الخريف لترى ما اعدهُ رجالها لراحة المواشي في الشتاء . ويرافقها في سياحتها هذه كثير من الخدم الذين يملأون المئات من المركبات ويحرسهم كثير من الخفر والرعاة والخدم والحشم وحلافهم. ويبلغ عدد مواشيها ثمانماية الف رأس من البقر وستمائة وستين الف راس من الغنم وعشرة آلاف حصان . ويباع من هذه الحيوانات كل سنة نحو ثلاثماية الف رأس بثمن يختلف من ثلاثة ملايين جنيه الى اربعة ملايين

واملاك مسز كنج مقسومة الى اثني عشرة مقاطعة لكل منها حاكم وللجميع مفتش عام . والحكام مطلقو الحرية في مقاطعاتهم فهم يستخدمون العمال ويعزلونهم (وهذا نادر) ويدفعون الأجر ويديرون الاعمال . وبيت الحاكم في وسط القرية تحيط بهِ بيوت العمال وكلها فسيحة وحولها بيوت الرعاة واسطبلات الخيول . وفي كل قرية مدرسة وكنيسة والعمال لا يدفعون من اجورهم سوى ثمن ثيابهم اما ثمن الاكل والدواء واجرة الطبيب فكل هذه تعطى لهم مجاناً ولذلك تراهم في سعة عيش ورخاء فليس بينهم فقير ولا جان

١٣ مسز امري

مسز سوسنا امري ملكة الذهب وهي بديعة الجمال لا تتجاوز السابعة والعشرين . تُوفي زوجها منذ سبع سنوات تاركاً لها بعض معادن لم يظن احد حينئذٍ ان لها قيمة تذكر . غير انها لم تلبث ان اجرت جميع الامتحانات اللازمة حتى تبين لها ان الفضة في احدها كافية للتشغيل وقد كان كذلك فربحت منهُ اولَ سنة نحو خمسة عشر الف جنيه ثم زاد دخلهُ بعد ذلك وهو الآن على ازدياد متواصل . واشترت حديثاً معدناً آخر في مقاطعة غنية بالمعادن فربحت منهُ في السنة الاولى مئتي الف جنيه وقد عرضت عليها احدى الشركات ابتياعهُ بمليوني جنيه فلم ترضَ واجمع العارفون انهُ يساوي نحو ثمانية ملايين . ومسز امري بارعة الجمال كما تقدم وطلاب

الزواج يتقاطرون اليها من كل صقع وناد فقد طلبها سنة ١٨٩٨ مئة وثمانية وثلاثون طالباً

١٤ مسز بوتر بالمر

وهي اشهر سيدات الاميركان عند الاوربيين عرفها الاوربيون والشرقيون ايام معرض شيكاغو اذ كانت رئيسة قسم النساء فيهِ وزارت اوربا ومصر وتعرفت بالأُسر المالكة في انكلترا وبلجيكا وايطاليا ثم ارسلها الرئيس مكنلي في العام الماضي الى باريس لتنوب عن نساء الولايات المتحدة الاميركية في المعرض وجاءت سنة ١٨٩٦ لقضاء الصيف في نيوبورت وهي في ضواحي نيويورك يقصدها " الاربعمائة " في ذلك الفصل واستأجرت منزلاً صغيراً ومعها ابنة اختها حفيدة الجنرال غرانت الشهير . وكان معها توصيات لاغنياء نيويورك فاضطروا الى دعوتها في اجتماعاتهم العامَّة ولكنهم لم يجاملوها ثم عادت سنة ١٨٩٧ الى نفس المنزل فابتدأ النيويوركيون يتساءلون فيما بينهم عن عسى ان تكون وارتأى بعضهم ان زوجها يدير فندقاً في شيكاغو . وفي السنة التالية استأجرت قصر هثماير لقضاء الصيف باربعة آلاف جنيه وفي تلك الاثناء قدم ولي عهد بلجيكا ونزل عليها ضيفاً كريماً فقامت نيو بورت وقعدت لذلك وتسابقت السيدات في التزلُّف اليها خصوصاً ان الامير البلجيكي فتن بجمال ابنة اختها وشاع انهُ سيتزوجها فتلبس يوماً تاجاً ملكياً

وبعد سفر البرنس البرت البلجيكي جاء الكونت ده تورين ونزل ضيفاً على مسز جون سبنسر ولكنهُ زار مسز بوتر بالمر وهي صديقة امرأة عمهِ ملكة ايطاليا فاولمت لهُ وليمة لم ترَ نيو بورت اعظم منها ودعت اليها النيويوركيين ومن ذلك الوقت صارت المجلّية في ذلك الميدان ولحقها زوجها الى نيوبورت وهو ابعد الناس عن الاسراف واقربهم الى الدعة

ومدام بالمر فرنسوية الاصل لا تزال طلعتها تنبئُ بما كانت عليهِ في صباها من الجمال وهي ذات بشاشة وحذق وتفنن في اساليب الحديث ولها هيبة ووقار حتى يتصور جليسها انهُ يخاطب ملكة عظيمة الشان تزوجت سنة ١٨٧١ بالمستر بوتر بالمر وكان ذا املاك كثيرة في شيكاغو يبلغ دخلها نحو اربعين الف جنيه . فلما احترقت المدينة احترقت بيوتهُ كلها فساعدتهُ امرأتهُ حتى جددها وتقدر ثروتهُ الآن بنحو اربعة وعشرين مليون جنيه . ولهُ قصر فخيم في شيكاغو ويبني الآن قصراً في نيويورك لان امرأتهُ تودُّ الانتظام في سلك " الاربعمائة "

١٥ بنات الصيني اه فونج

قدِم هذا الصيني الى جزيرة هنولولو كفاعل بسيط منذ سنين عديدة وتوصل الى التقرّب من ملكها فمنحهُ احتكار تجارة الافيون فجمع منها ثروة وافرة وبنى قصراً يفوق اكثر قصور

الملوك . ولا تعرف ثروة هذا الرجل تمام المعرفة ولكن يمكن ان نشير اليها بوجه التقريب . فله ثلاث عشرة ابنة وولدان وقد اعطى كلاً من اولادهِ وقت الزواج عدة ملايين من الريالات

وكيفية دخول بناتهِ بين اغنياء الاميركان ان الكبرى منهنَّ تزوجت بطبيب اسنان انكليزي وتزوجت اختها الثانية باحد ضباط البحرية الاميركية العظام ومن اشرف عائلات الشارع الخامس في نيويورك وتزوج بعضهنَّ ببعض اغنياء نيويورك المعدودين والباقيات في حراسة احدى سيدات الشارع الخامس الشهيرات فلا يلبثنَ ان يلاقينَ ازواجاً اغنياء

اما اه فونج فعاد الى الصين ولم يعد يمكنهُ الخروج منها الاَّ بدفع غرامة عظيمة . وكانت امرأتهُ الاولى الصينية لا تزال حية فعاد اليها وبقيت امرأتهُ الثانية في قصرها في هنولولو وقد آلت على نفسها ان لا تخرج منهُ ابدًا

وقد تزوج كثيرٌ من بنات الاميركان ذوات الثروة الطائلة باشراف الاوربيين طمعاً بالقابهم ولو كان بعضهم فُقراء وبلغ ما اعطينهُ لازواجهنَّ الاوربيين نحو اربعين مليوناً جنيه نال الازواج الفرنساويين منها نحو النصف . ومن اولئك المتربات ابنة قندربلت تزوجت بدوق مارلبرو من اشرف عائلات انكلترا المرتبطة برباط النسب مع العائلة المالكة وبلغ مهرها مليوني جنيه وابنة جولد تزوجت بالكونت بوني كستلان وهو من اعرق عائلات فرنسا نسباً ولكنهُ فقير الحال . قيل انهما ذهبا مرة الى حفلة عامَّة وفيما هي سائرة عثرت رجلها واوشكت ان تسقط فنظر اليها مغضباً وقال لا يليق بالكونتسة كاستلان ان تقع فاجابتهُ لولا دراهم ابنة جولد لم يكن كونت من عائلة كستلان . وكان مهرها نحو ثلاثة ملايين جنيه لكنَّ اباها وضع المال تحت تصرُّف اخيها الاكبر فهو يدفع لكلٍّ من اخوتهِ واخواتهِ نصيبهُ من الدخل وعيَّن لها مئة وعشرين الف جنيه سنوياً اي اربعاً في المائة من نصيبها ورأى حديثاً انها منذ زواجها سنة ١٨٩٥ انفقت دخلها كلهُ ونحو ٨٠٠ الف جنيه فوقهُ فاستصدر حكماً من محكمة باريس بتعيينهِ قيِّماً عليها ريثما يتم تصفية ديونها .

واغنياء اميركا في قلق دائم من جهة اموالهم فهم يخافون ان يبددها اولادهم من بعدهم ولذا يتخذون الاحتياطات اللازمة لحفظها . والطريقة التي جرى عليها اكثرهم في ذلك هي ان يوصي الواحد منهم بمالهِ لاولادهِ ويشترط الاَّ يقبض كل منهم الاَّ نصف نصيبهِ يتصرف فيهِ كما يشاء ويبقى النصف الآخر في الشركة التجارية التي كان يديرها ابوهُ ليقبض ريعهُ اما راس المال فلا ياخذهُ الاَّ اولادهُ بعد موتهِ وهكذا تزيد اموالهم وتتضاعف وهم مطمئنون آمنون . وليس ذلك فقط بل انهم يحتالون على الحكومة بطرق شتى ولا يدفعون من الضرائب

الاَّ ما هو دون الطفيف . ولم يقتصر هذا التساهل على الافراد بل تناول الشركات كشركات السكك الحديدية في اسواق نيويورك فانها لا تدفع شيئًا مع ان صافي ارباحها يبلغ نحو ٩ في المائة

قلنا قبلاً ان سبب ثروة اكثر الاميركيين الذين ذكرناهم توحيد الشركات وهو ما يسمونهُ Trust وكيفية ذلك ان بعض الشركات او الافراد الذين يتاجرون في صنف ما يتفقون على توحيد شركاتهم او ضمّها كلها وجعلها شركة واحدة حتى تقل نفقاتهم ويسهل عليهم تخفيض الاسعار ما امكن فتفلس الشركات المعارضة لهم فيشترون معاملها بارخص الاثمان وبذلك يأمنون مزاحمتها في المستقبل ثم يرفعون الاسعار ويتحكمون بها كما يشاؤون فترد الاموال الى خزائنهم بالملايين . وتأليف مثل هذه الشركات مخالف للقانون وقد صدرت احكام عديدة بحلها غير ان اصحابها استولوا على زمام السلطة التنفيذية فبقيت تلك الاحكام حبرًا على ورق . ثم انهم يُغيرون اسماء الشركات وهيئة تركيبها حتى تظهر بخلاف ما هي عليهِ ويبقى ضررها كما كان قبلاً بل قد يزيد . ولكي يأمنوا مزاحمة البضائع الخارجية الزموا الحكومة ان تضرب عليها رسومًا فادحة . والحكومة الحالية في يدهم يديرونها حسب اهوائهم وقد انفقوا الملايين من الجنيهات لانتخاب ما كنلي لهذا الغرض

ولا تقتصر شركة على التجارة المختصة بها بل تعمل كل ما ينبغي لنجاح تلك التجارة مثال ذلك ان شركة الزيت تمتلك كثيرًا من السكك الحديدية والوابورات فتنقل زيتها بنفقة قليلة ولكنها تقتضي اجرة باهظة من بقية الشركات ولذا افلس اكثرها

هذه نزر من اخبار اولئك الاغنياء ولا بدَّ ان نراهم بعد قليل في المشرق اذا استمروا على خطةُ الهجوم التي اتخذوها حديثًا . وعسى ان نطرح جشعهم الشديد جانبًا ونأخذ عنهم الثبات والاجتهاد وغيرهما من الصفات اللازمة للنجاح نسيم بر باري

رواية امينة

الفصل الحادي عشر

وصلت البلد الذي كنت قاصدةً اليهِ بعد سفر ايام برًّا وبحرًا وكان سفر البر اشدَّهما تعبًا اضعت فيهِ رشدي وبقية جلدي وكيف لا اضيعهما وقد مرَّ عليَّ اسبوعان وانا على ظهر بغل يصعّد بي ويصوّب . وصلت البلد ونزلت في الخان وذهب سليم آغا الى سراي الحكومة